

٨  
نتيجة خطية آدم  
تكوين ٣

أصدقائي المستمعين ..

تعلمنا من خلال دراستنا في التوراة، أن الرب الإله خلق أول رجل وامرأة على صورته. ورأينا كيف أن الله وضع اختباراً بسيطاً أمام آدم، ليرى ما إذا كان آدم يحبه بقدر كافٍ يجعله يطيعه أم لا. أوصى الله آدم، قبل خلق المرأة، قائلاً له:

“من جميع شجر الجنة تأكل أكلاً، وأما شجرة معرفة الخير والشر فلا تأكل منها؛ لأنك يوم تأكل منها موتاً تموت” (تكوين ٢: ١٦-١٧)

وهكذا، اختبر الله آدم، وحذره من أن عقاب المعصية سيكون هو الموت، والانفصال عنه. فقد أحب الله آدم، وأراد أن يستمتع بعلاقة معه إلى الأبد. ومع ذلك، ففي حلقتنا السابقة، قرأنا أن آدم وحواء أنصتا إلى إبليس، وعصيا الله، عندما أكلا من الشجرة التي حرّمها.

ومن ثمّ، نريد اليوم أن نكمل دراستنا في التوراة، في الفصل الثالث من سفر التكوين، لنرى ماذا حدث بعد أن أخطأ آدم وحواء إلى الله. ويقول الكتاب في العدد السابع من هذا الفصل:

“وعندئذٍ انفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان. فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مأزر. ” (تك ٧: ٣)

والآن، ما هو أول شيء فعله آدم وحواء، بعد أن عصيا الله؟ لقد حاولا أن يخفيا عارهما وإثمهما! ولذا، كمحاولة لإخفاء عارهما، خاطا أوراق شجر التين، وغطيا عريهما. ومع ذلك، فتغطية جسديهما بأوراق الشجر لم تمحُ الشعور بالذنب من قلوبهما.

ويقول الكتاب بعد ذلك:

“وسمعا صوت الرب الإله ماشياً في الجنة عند هبوب ريح النهار، فاختاباً آدم وامرأته من وجه الرب الإله في وسط شجر الجنة. ” (تك ٣: ٨)

كم كانت الأشياء مختلفة بالنسبة لآدم وحواء بعد أن أخطأ! فقبل أن يعصيا الله، كانا يفرحان كلما أتى الرب الإله إلى الجنة ليتحدث معهما. أما الآن، فعندما سمعاه يقترب، ارتجفا من الخوف والخجل، وحاولا أن يختبئا منه بين أشجار الجنة.

هل كان يجب أن يخاف آدم بعد أن عصى وصية الله؟ بالطبع! لماذا؟ لأن الله كان قد قال له بوضوح:

“في اليوم الذي ستأكل من شجرة معرفة الخير والشر فإنك موتاً تموت!” هل سينفذ الله كلمته؟ هل سيموت آدم حقاً؟ ماذا تعتقد أنت؟ هل سيعاقب الله فعلاً الرجل والمرأة اللذين خلقهما؟

هل كان في مقدور الله أن يقول: “إن هذا ليس بالأمر الخطير الذي يستدعي العقاب ..!!”، ويجعل آدم يمضي حراً دون أن يدينه؟ بالطبع لا، هذا مستحيل. فإله قدوس، ولا بد أن يدين الخطية. إن الله لا يستطيع أبداً أن يوافق على الشر، بل لا بد أن يعاقبه. ويكتب حبقوق النبي في سفره: “يا رب إلهي قدوسي .. عيناك أظهر من أن تنظرا الشر، ولا تستطيع النظر إلى الجور.” (حبقوق ١: ١٢-١٣).

فإن طبيعة الله المقدسة تتطلب منه أن يدين ويعاقب كل خطية. ولذا كان من الضروري أن يدين الله آدم وحواء على خطيتهما.

ماذا فعل الله بعد أن أخطأ آدم؟ لقد ذهب الله ليبحث عن آدم منادياً إياه: “أين أنت؟” هل ذهب آدم ليبحث عن الله؟ لا، بل كان يحاول أن يختبئ من الله! ولماذا نادى الرب آدم؟ ألم يكن الله يعرف أين هو؟ الله الذي يرى ويعرف كل شيء كان قد عرف بالتحديد أين كان يختبئ آدم. لقد نادى الرب آدم، لأنه أراد أن يدرك آدم خطيته ويعترف بها أمامه. لقد كان الله لا يزال يحب آدم رغم أنه عصاه.

بماذا أجاب آدم عندما سأله الله: “أين أنت؟” يقول الكتاب: “فقال آدم سمعت صوتك في الجنة فخشيت لأني عريان، فاخترت. فقال الله: من أعلمك أنك عريان (يا آدم)؟ هل أكلت من الشجرة التي أوصيتك أن لا تأكل منها. فقال آدم .. المرأة التي جعلتها معي، هي أعطتني من الشجرة، فأكلت!” (تك ٣: ١٠-١٢)

هل سمعت كيف أجاب آدم وحواء الله؟ لقد راح كل منهما يلقي باللوم على الآخرين. اتهم آدم الله وحواء قائلاً: إنه ليس خطأي . إنه خطأ المرأة التي جعلتها أنت معي! أما حواء فراححت تلقي باللوم على الحية قائلة: لا تلومني .. لقد خدعتني الحية! إلا أن الله الذي يعرف قلب الإنسان، عرف أن كليهما مذنبان. فإله، لم يجعلهما يأكلان من ثمر الشجرة. الشيطان أيضاً .. لم يجعلهما يأكلان منه. صحيح أن الشيطان يستطيع أن يجرب ويخدع الناس، ولكنه لا يستطيع إجبار أي شخص على الخطية. لقد علم آدم تماماً ما أمر به الله، ولكنه اختار أن يضل عن طريق البر، ويتبع طريق الضلال. ولم يتوقف آدم عند حد معصية الله، ولكنه أضاف خطيةً أخرى إلى خطيته بمحاولته وضع اللوم على الآخرين.

ويحاول الناس، حتى هذا اليوم، أن يلوموا الآخرين على أخطائهم، ولكن الله يعلم الحق. يتكلم الله من خلال الكتاب المقدس قائلاً: أين أنت؟ أجبني! ماذا فعلت؟ لماذا ترفض أن تصدق كلمتي وتطيعها؟ لماذا تحتقر صلاحي؟ لماذا تحاول أن تلوم الآخرين على أخطائك أنت؟

وعندما نستمر في قراءة هذا الفصل الكتابي، نرى كيف أن الله أصدر حكمه على الحية والشيطان وحواء وآدم. إذ يقول الكتاب:

“فقال الرب الإله للحية لأنك فعلت هذا، ملعونة أنت من جميع البهائم ومن جميع وحوش البرية. على بطنك تسعين، وتراباً تأكلين كل أيام حياتك. وأضع عداوة بينك وبين المرأة، وبين نسلك ونسلها. هو يسحق رأسك، وأنتِ تسحقين عقبه. وقال للمرأة: تكثيراً أكثر أتعاب حبلك، وبالوجع تلدين أولاداً. وإلى رَجلكِ يكون اشتياقك، وهو يسود عليك. وقال لآدم: لأنك سمعت لقول امرأتك، وأكلت من الشجرة التي أوصيتك قائلاً لا تأكل منها، ملعونة الأرض بسببك، بالتعب تأكل منها كل أيام حياتك. وشوكاً وحسكاً تنبت لك، وتأكل عشب الحقل. بعرق وجهك تأكل خبزاً حتى تعود إلى الأرض التي أخذت منها. لأنك تراب وإلى تراب تعود.” (تك ٣: ١٤-١٩)

هل ترى ما نتج عن خطيتهما؟

لقد نتج عنها الحزن والألم، والشوك والحسك، والتعب والعرق، والمرض .. والموت. نعم، “لأن أجره الخاطية هي موت.” (رومية ٦: ٢٣) ماذا قال الله أنه سيحدث لآدم وحواء إذا أكل من الشجرة المحرمة؟ لقد قال الله: “في اليوم الذي تأكلا من الشجرة موتاً تموتاً.” فهل مات آدم وحواء موتاً جسدياً، ودُفنا؟ بالطبع لا. ولكن هل ماتا حقاً في هذا اليوم. نعم، لقد ماتا حقاً. ففي ذلك اليوم عينه، مات آدم وحواء في نفسيهما، لأن علاقتهما مع الله قد انقطعت.

وكما تعلمنا سابقاً، أن الموت هو الانفصال عن الله. لقد فصل آدم وحواء نفسيهما عن الله، مصدر الحياة، عندما خالفا الله ولم يطيعاه. عندما اختار آدم وحواء أن يصدقا الشيطان، وان يتبعاه، جازفا بصدائهما مع الله، وخسراها، وخسرا معها نصبيهما في حياته. فقد أصبحا أعداء الله، لأنهما تحالفا مع الشيطان، عدو الله. وهكذا، ماتت علاقتهما مع الله.

وقبل أن نختم حلقة اليوم، هناك حقيقة يجب أن نفهمها ونتذكرها، وهي أننا كلنا مولودون “أمواتاً بالذنوب والخطايا”، و“مفصولين عن حياة الله” (أفسس). ربما لا يعجبنا هذا، ولكن هذا هو ما تقوله كلمة الله. ففي اليوم الذي خالف فيه آدم الله، أصبح آدم خاطئاً. آدم، الذي أخطأ، هو أبو الجنس البشري. وهكذا، وكنتيجة لخطية آدم، صار كل نسله خطاة.

لقد كتب النبي داود في سفر المزامير قائلاً:

“هأنذا بالإثم صُورْت ، وبالخطية حبلت بي أمي” (مز ٥١:٥)

إن الخطية تشبه إلى حدٍ كبير مرض الإيدز - وهو مرضٌ مخيفٌ صار منتشرًا في كل العالم. فعندما يدخل الإيدز جسم الإنسان، فإنه لا يفارقه أبداً. والشخص المصاب بالإيدز يستطيع أن ينقله لأطفاله. الإيدز مرضٌ قاتل، ولم يجد الإنسان أي علاج له بعد. وكذلك هي الخطية، فهي كارثةٌ رهيبة انتشرت في كل الأرض. الخطية مميتة، وتؤدي إلى الهلاك الأبدي للإنسان. والإنسان نفسه لم يجد لها علاجاً.

ولكن دعونا نسبح الله اليوم بقلوب فرحة، لأن الله نفسه قد قدّم علاجاً لينقذنا من عقوبة الخطية، ومن موتها. إلا إننا علينا أن نصدّق علاج الله، ونقبله. وفي حلقتنا القادمة - إن شاء الله - سنرى كيف أعطى الله آدم وحواء وكل نسلهما وعداً رائعاً بشأن مخلصٍ عظيمٍ سيأتي إلى العالم، ويخلص جميع الخطاة من خطاياهم، ومن الشيطان، والجحيم.

أصدقائي المستمعين ..

كانت هذه هي حلقة اليوم من برنامجكم “طريق البر”. نشكركم على حسن استماعكم. وليبارككم الله وأنتم تتأملون في الكلمات التي كتبها داود النبي:

“هأنذا بالإثم صُورْت ، وبالخطية حبلت بي أمي.” (مز ٥١:٥)